مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 02 (2023م) • ص ص 419 - 434
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

سرُّ جمال الاستعارةِ المكنية في القرآن الكريم
ـ دراسةٌ تفسيريَّةٌ بيانيَّةٌ ـ

The Secret of the Beauty of Allegory Metaphor in the Holy Quran
-An Interpretive Rhetorical study-

د/ نبيل مسالتي *
مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة (الجزائر)
messalti_nabi@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/03/30 | تاريخ الاستلام: 2023/05/03 | تاريخ النشر: 2023/07/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: تفتقرُ كتبُ البلاغةِ لتجديدِ أمثلتِها؛ فهي ما تفتأُ تُكَرِّرُ الشواهدَ الشعريَّةَ نفسَها، وهذا مما يعيقُ تذوقَ علمِ البلاغةِ بأنواعِهِ الثلاثةِ، المعاني، والبديع، والبيان؛ إذ هو سلطانُ التفسيرِ البلاغيِّ للقرآن الكريمِ، ومنه الاستعارةُ بنوعيها المكنيةُ والتصريحيةُ، وللوقوف عمليًّا على سرِّ جمال الاستعارة المكنية الكامن في أسلوبها، أجريتُها على آياتٍ من القرآنِ الكريمِ في قالبٍ تفسيريٍّ، فنتجَ عن ذلك شواهدُ قرآنيةٍ زاخرةٌ؛ تمثيلًا وتدليلًا وتوضيحًا، على أنَّ سرَّ جَمالِ الاستعارةِ المكنية لا يخرجُ عن **التجسيم**، وهو تشبيهُ أمرٍ معنويٍّ بأمرٍ حسيٍّ، أو **التشخيصُ**، وهو تشبيهُ ما لا يعقلُ بكائنٍ له حواسٌ وجوارحُ، و**التوضيحُ** وهو ما عدا ذلك.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ التفسير، البيان، الاستعارة المكنية.

Abstract: The books of rhetoric lack the renewal of their examples. It never ceases to regurgitate the same poetic evidences, and this hinders tasting the science of rhetoric with its three types, El-Maany, El-Bayane, El-Badia, as it is the head of the rhetorical interpretation of the Holy Quran, whereas the metaphor in its two types: the allegory and the declarative.
So, in order to find out practically the beauty of the metaphor inherent in its style, I based on verses from the Holy Quran in an interpretative form, it resulted many Quranic evidences with representation and clarification that the secret of the beauty of allegory metaphor does not depart from the anthropomorphism, which is likening a moral matter with a sensory matter, or analogy, which is likening the incomprehensible to an object that has senses and limbs, and clarification, which is other than that.

Key words: Holy Quran; Interpretation; Rhetoric; Allegory Metaphor.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

الحمد لله الرحمان خالق الإنسان مُعلِّمِه البيان، والصلاة والسلام على الحبيب الجاعل من البيان سحرا، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن استخراج سرّ جمال الاستعارة المكنية، مما يشكل على ممارس علم التفسير البلاغي، ووجه ذلك كون المشبه به غير مذكور؛ وإنما يُذكر شيء من لوازمه، فإن خفي كُنْهُهُ وجوهره لفظا، صَعُبَ تصنيفه عَرَضا، ومعرفة سرّ جمال الاستعارة المكنية متوقف على معرفة ذلك حِسًّا أو معنىً؛ لذا كان بيان ذلك من المواضيع المهمة، حيث اعتمدت على منهجية الإجراء المتمثلة في تفكيك الصورة البيانية مُبيِّنا أركانها المذكورة لفظا والمحذوفة، وإسقاط ذلك على جملة من الآيات القرآنية جمعا بين الحسنيين، وهو أسهل طريق وأسلمه لاستنباط سرّ جمال الاستعارة المكنية المتمثل في التجسيم والتشخيص والتوضيح، كما رأيت أن تكون مادة هذا البحث منتظِمة على النسق الآتي:

1. مقدمة:
2. قراءة في مصطلحات عنوان البحث.
1.2. مِهادٌ معرفيٌّ: قراءة في الكلمات المفتاحية (القرآن الكريم، التفسير، البيان، الاستعارة).
2.2. مِهادٌ تأصيليٌّ: قراءة في ضابط التجسيم، والتشخيص، والتوضيح.
3. الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها في قالب تفسيري.
1.3. الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها (التجسيم) في قالب تفسيري.
2.3. الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها (التشخيص) في قالب تفسيري.
1.3.الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها (التوضيح) في قالب تفسيري.
4. خاتمة:
5. قائمة المراجع:

وقد سرت في بحثي هذا على نسقٍ جامعٍ بين الإجراء البلاغي المتمثل في شرح الصورة البيانية، ذاكرا أركانها المذكورة والمحذوفة؛ محددا نوعها وسرَّ جمالها، وربطها بالمعنى التفسيري للآية، مطيلا النفس في الأمثلة الأولى، مستعينا بكلام أهل العلم في شرحها، مُركِّزا على استنباط سرّ جمال الاستعارة المكنية في باقي الأمثلة، حيث غلب عليها الجانب البلاغي، المبيِّن ما تحته من معاني.

2. قراءة في مصطلحات عنوان البحث.

1.2. مِهادٌ معرفيٌّ: قراءة في الكلمات المفتاحية للبحث.

تكتسب هذه المواضيع قوتها من أمثلتها القرآنية، وتبرزُ أهميتُها البالغة في اكتساب الملكة التفسيرية البلاغية، ويُعدُّ الجانب العمليُّ التطبيقيُّ أفضل طريقة وأسهلها لاكتساب مثل هذه الملكات، وقبل أن نلج المقصود يحسن بنا الوقوف عند المصطلحات التي يُبنى عليها البحث وهي:

أولا: القرآن الكريم.

القرآن **لغة:** من الجمع والضم [1] سواء جعلناه مصدرا أم وصفا أم عَلَمًا، فهو يجمع ويضم السور والآيات والحروف بعضها إلى بعض، وعليه قوله تعالى ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة:17]، أما **اصطلاحا** فهو:" كلام الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز في لفظه ومعناه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف من أول سورة الحمد إلى آخر سورة الناس". [2]

ثانيا: التفسير.

تدور مادة (ف س ر) في **اللّغة العربية** حول: البيان والإيضاح، ومن ذلك قولهم: فسَّرت الحديث: إذا بيَّنته وأوضحته،[3] جاء في لسان العرب: "الفسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"،[4] وأما **اصطلاحا:** فقد حُدَّ بتعريفاتٍ كثيرةٍ متقاربةٍ متقاطعةٍ، رُكِّزَ في غالبها على تخصصِ المفسرِ صاحب التعريفِ نفسهِ، ولعلَّ **تعريف أبي حيان** الذي قال فيه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتماتٌ لذلك"، أقرب وأنسب إلى ما نحن بصدده، ويظهر ذلك عند شرحه لتعريفه فبيَّنَ أنَّ معنى **"كيفية النطق بألفاظ القرآن"** هو علم القراءات، وأما **"مدلولاتها"** فهو علم اللغة والغريب، والقصد بـ **"أحكامها الإفرادية والتركيبية"** علم التصريف والإعراب وعلم البلاغة من بيانٍ وبديعٍ ومعانٍ، ومقصوده بـ **"ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب"** المجاز، و يلحق بهذا **"تتمات لذلك"** كالنسخ، وأسباب النزول، والمبهمات، ونحوها. [5]

ثالثا: البيان.

يُعد علم البيان أحد علوم البلاغة الثلاثة التي امتطاها علماء التفسير قصد بيان معاني القرآن الكريم، فإن كانت البلاغة هي موافقة الكلام لمقتضى الحال تقديما وتأخيرا وحصرا وقصرا وما إلى ذلك من مباحث علم المعاني التي تُعد كالشرط لعلم البيان، فإنَّ علم البيان يزيد على ذلك؛ كونه يهتمُّ بتأديّة المعنى الواحد بطرق مختلفة الدلالة، وفائدته العامة تقوية المعاني.

وقد حُصرت أبواب علم البيان في التشبيه -ومنه الاستعارة-والمجاز والكناية؛ إلا أنَّهما مقصودان بالأصالة؛ خلافا للتشبيه فهو مقصود بالتَّبع؛ لأنَّ دلالته وضعية -فهي لا تتفاوت في الوضوح على ما قرَّره البلاغيون، خلافا لأهل المنطق وأهل أصول الفقه-، بخلاف الدلالات العقلية؛ لكن لما كان من المجاز ما يُبنى على التشبيه وهي الاستعارة ذُكر تبعا.

(1) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص49.
(2) مناهل العرفان للزرقاني: (19/1). بتصرف
(3) جمهرة اللغة لابن دريد، (2/ 718).
(4) لسان العرب لابن منظور، مادة (فسر) (55/5).
(5) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: (121/1).

ووجه انحصار علم البيان في الأبواب الثلاثة؛ أنَّ إثبات المعنى إمَّا أن يكون عن طريق الإلحاق؛ وهو التشبيه لا غير، وإما عن طريق الإطلاق؛ أي إطلاق الملزوم وإرادة اللازم؛ فإن كان مع قرينة صارفة عن المعنى الأصلي كان مجازا، وإلا فكناية، وهذا برهان القسمة الثلاثية.

قال عبد الرحمان الأخضري (ت953ه) ناظما لما ذكرنا: (1)

فَنُّ البَيَانِ عِلْمُ مَا بِهِ عُرِف ... تَأْدِيةُ المَعْنى بِطُرُقٍ مُخْتَلِفْ

وُضُوحُهَا واحصُرْهُ فِي ثَلاثَةٍ ... تشْبِيهٍ اوْ مَجَازٍ اوْ كِـنايةٍ

رابعا: الاستعارة.

ينقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز، وبعيدا على من أنكر المجاز؛ يُمكن أن نحدَّه على طريقة المناطقة بأنَّه استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي؛ فتحصل لنا من تعريفه ثلاثة شروط وهي:

- استعمال اللفظ في غير ما وضع له.
- وجود قرينة مانعة من إيراد المعنى الحقيقي.
- وجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي؛ وهذه العلاقة إما أن تكون مبنية على المشابهة أو لا؛ فإن كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي هي المشابهة - وهو الأكثر استعمالا وجمالا-، سُمي المجاز حينها استعارة وهي أفضله، وإن كانت غير المشابهة كالجزئية والكلية وغيرها من العلاقات التي يذكرها أهل البلاغة، سُمي المجاز حينها مجازا مرسلا.

قال الأخضري مُقرِّرًا لما ذكرنا من تعريف الاستعارة وبيان شروطها: (2)

حَقِيقَةٌ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وُضِعْ ... لَهُ بِعُرْفِ ذِي الخِطَابِ فَاتَّبِـعْ

ثُمَّ المجازُ قدْ يَجِيءُ مُفْـرَدَا... وَقَدْ يَجِي مُرَكَبًا فَالْمُـــبْتَدَا

كَلِمَةٌ عَابَرَتْ المَوضُوعَ معْ ... قَرِينَةٍ لِعُلْقَةٍ: نِلْتَ الـــــوَرَعْ

كـ: اخلعْ نعالَ الكونِ كَيْ تراهُ ... وغُضَّ طَرْفَ القَلْبِ عن سِوَاهُ

كِلَّاهُمَا شَرْعِيٌّ اوْ عُرْفِيٌّ ... نحو: ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الـصُّوفِيُّ

أوْ لُغَوِيٌّ وَالْمَجازُ مُرْسَلُ ... أوِ اسْتِعَارَةٌ فَأَمَـــــا الأَوَّلُ

فَمَا سِوى تَشابهٍ عِلاَقَتُهُ ... جُزْءٌ وكلٌّ اوْ مَحَـــــلٌّ آلَتُهُ

ظَرْفٌ وَمظروفٌ مُسَبَبٌ سَبَبْ ... وَصْفٌ لِمَاضٍ أوْ مَآلٍ مُرْتَقبْ

والاسْتِعَارَةُ مَجَازٌ عُلْقتُهُ ... تَشابُهٌ كـ: أَسَدٍ شَجَـــــاعَتُهُ

(1) الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، عبد الرحمان الأخضري، ص87.
(2) الجوهر المكنون للأخضري: ص93.

وشرحا لكلام الناظم تُعَرَّف الاستعارة بأنها: **استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي**، واختصارا يُقال: الاستعارة مجاز علاقته المشابهة، كقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران:103]، حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل،[1] بجامع النجاة في كلٍّ منهما، فاستعمل الحبل في غير معناه الحقيقي، والعلاقة المشابهة بينهما، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي ما قبل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران:101]

فيُقال في إجرائها أنه شبَّهَ القرآن بالحبل بجامع النجاة في كلٍّ منهما، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو "الحبل"، للمشبه وهو "القرآن" على سبيل الاستعارة، وبناء على هذا فأصل الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه شبهه وأداته.

أنواع الاستعارة: تقسم الاستعارة بعدة اعتبارات، وهي باعتبار ما يُذكر من طرفي التشبيه على نوعين:

النوع الأول: الاستعارة التصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، كقوله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ**﴾ [إبراهيم:1]، فقد شبه الشرك بالظلمات بجامع الضياع في كلٍ منهما؛ ثم حذف المشبه وترك المشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**﴾.

النوع الثاني: الاستعارة المكنية: هي ما لم يصرح فيها بلفظ المشبه به؛ بل حُذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، كما في قوله تعالى ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ [الإسراء:24]، فقد استعار الطائر للذل، ثم حذفه، ودلَّ عليه بشيء من لوازمه وهو كلمة "جناح".[2]

وقد ذكر السيوطي **(ت911هـ)** في نظمه الجميل على كتاب تلخيص المفتاح للقزويني **(ت739هـ)** هذين النوعين قائلا:[3]

فِي جِنْسِ مُشْبَهٍ بِهِ **وَقُسِّمَا** ... إِلَى **مُصَرَّحٍ وَمَكْنِيٍّ** فَمَـــــا
يُنْوَى مُشَبَّهٌ فَقَطْ مُصَرَّحُهْ ... وَعَكْسُهَا الْمَكْنِيُّ قَوْلٌ رَجَّحَهْ

2.2. مِهادٌ تأصيليٌّ: قراءة في ضابط التجسيم، والتشخيص، والتوضيح.

إذا جاءت الجمل العربية على أسلوب واحد ضاقت المعاني؛ فلا يوجد في أصل وضعها أدلة على ما تضمنته من معانٍ بعيدة خفية غير مباشرة؛ لذلك امتطى علماء التفسير علم البيان لتوضيح ملمح

(1) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (4/31-32).
(2) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (15/70-71).
(3) عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للسيوطي: ص90، ع695-696 وانظر: دروس البلاغة، حفني ناصف وآخرون، شرح ابن عثيمين، ص125،126.

الصور البيانية في قالبٍ تفسيريّ؛ فبعدما أن أصَّلوا أنَّ الاستعارة بنوعيها (المكنية، والتصريحية) هي تشبيه بليغ حُذف منه المشبه أو المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه؛ بمعنى أنه لم يبق من عناصر التشبيه إلا ركن واحد؛ ذكروا أن سرَّ جمال الاستعارة لا يخرج عن ثلاثة أشياء وهي:

أولا: التجسيم: ويطلق عليه التجسيد عند أكثرهم: وهو تشبيه الشيء الذي لا جُرم له بالشيء المادي المدرك بالحواس، نحو قولنا: رأيت الحق واضحا؛ حيث شبه الحق وهو أمر معنوي بشيء محسوس يُرى، وكقولنا: تحطم اليأس على صخرة الأمل، حيث شبه اليأس وهو أمر معنوي لا يدرك بالحواس بشيء محسوس يمكن كسره وتحطيمه.

فضابط التجسيم (التجسيد) أنَّه: تشبيه الشيء المعنوي (غير المحسوس) بالشيء المادي (المحسوس).

ثانيا: التشخيص: هو تشبيه شيء معنوي أو مادي بكائن حيٍّ (إنسان، حيوان)، له جوارح وحواس نحو قولنا: نطق الحقُّ، بكت السماء، تفترس الرذيلة العفاف، حيث شَبَّهَ "الحقَّ" وهو أمر معنوي، وكذا "السماء" وهي أمر مادي بإنسان، وشبَّه كذلك "الرذيلة" وهي أمر معنوي بالحيوان المفترس.

فضابط التشخيص أنَّه: تشبيه ما لا يعقل (مادي أو معنوي) بكائن حي (إنسان، حيوان).

ثالثا: التوضيح: هو ما عدا التشخيص والتجسيم، وتنحصر صوره في الحالات الست الآتية:

تشبيه المادي بالمادي نحو قولنا: وجه الفتاة كالقمر، **وتشبيه المادي بالمعنوي** نحو قولنا: العسل شفاء للناس، **وتشبيه المعنوي بالمعنوي** نحو قولنا: الصداقة بين الطلاب قوة.

تشبيه شخص بشخص نحو قولنا: من شابه أباه فما ظلم، **وتشبيه شخص بالمادي** نحو قولنا: الجندي صخرة أمام الأعداء، **وتشبيه شخص بالمعنوي** نحو قولنا: أنت روحي.

ويلاحظ: أنَّه إذا كان المشبه شخصا، فسرُّ الجمال هو التوضيح أيًّا كان المشبه به.

وقد التفت الجرجاني **(ت471هـ)**[1] إلى شيء من خصائص الاستعارة جاعلا التوضيح عنوان مناقبهما شارحا إياه بقوله: " أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرِج من الصدَفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"، ثم شرح التشخيص والتجسيد في المعنويات، وأنه بثٌّ للحركة والحياة والنطق في الجماد بقوله: "فإنك لترى بها –الاستعارة- الجمادَ حيّاً ناطقاً، والأعجمَ فصيحاً، والأجسامَ الخُرسَ مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً... إن شئت أرتك المعانيَ اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد **جُسِّمت** حتى رأتها العيون، وإن شئتَ لطَّفتِ الأوصاف **الجسمانية** حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلاّ الظنون ".

وسنعمل على بيان وتجلية سرّ جمال الاستعارة المكنية في قالب تفسيري عرضا فيما يأتي:

(1) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، ص43.

3. الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها في قالب تفسيري.

الأسلوب الخيالي يحقق غرضين من أغراض الاستعارة المكنية هما: الإيجاز، والبيان تجسيما وتشخيصا وتوضيحا، كما يعمل على رسم صورة المشبه به المنطوي، وإبرازها في صورة أوجز وأبلغ في الدلالة على المعنى المراد حسب المقام؛ إذ لا تقوم مقامه الحقيقة البتة.

وسأعمد شرح الآيات محل البحث لتأكيد وتجلية ذلك؛ مقدما ذلك بخلاصة على نهج أهل البلاغة في إجراء الاستعارة المكنية، مبيّنا سرّ جمالها.

1.3. الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها (التجسيم) في قالب تفسيري.

وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ**﴾ [البقرة:16]

الأصل في إجراء الاستعارة هنا، تشبيه الضلالة (وهي أمر معنوي) بالمشبه به وهو هنا السلعة (وهي أمر حسي) بجامع الربح والرغبة في كلٍّ منهما، وقد حُذف هذا الوصف الجامع وهو ما يُسمى بوجه الشبه، كما حُذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمال هذه الصورة البيانية هو التجسيم؛ كونه شبه الشيء المعنوي غير المحسوس بالشيء المادي المحسوس، وعلى هذا فقس، وفيها أيضا أنه شبه الهدى (وهي أمر معنوي) بالدراهم (وهي أمر حسي)، وقد حذف المشبه به (الدراهم)، على طريق الاستعارة المكنية، وكان سرُّ جمالها التجسيم.

وإطلاق الاشتراء في هذه الآية يُخرَّج بلاغيا على وجهين:

الأول: أنه مجاز مرسل علاقته اللزوم، حيث أطلق الاشتراء على أحد معانيه، وهو الحرص على الشيء، والزهد في ضده، بمعنى أنهم حرصوا على الضلالة، وزهدوا في الهدى، وعلة هذا الوجه البلاغي أن المنافقين لم يكونوا مهتدين من قبل أصلا؟ فكيف يكونوا استبدلوا شيئا بشيء، وهو تعليل وجيهٌ، غير أنه لا يسلم من الاعتراض.

الثاني: أنه استعارة، ويكون استعمال الاشتراء بمعنى الاستبدال، واستعماله بهذا المعنى مشهور في كلام العرب شعرا ونثرا، وتبرير المعنى على هذا الوجه البلاغي البياني: أن اختلاط المنافقين بالمسلمين وإظهارهم للإيمان، تُشبِه حال من اهتدى إذا تلبس بالمؤمنين؛ فإذا خلوا إلى شياطينهم، تركوها وطرحوها واستبدلوها بحال الضلالة وهي اللفظ المستعار هنا.

قال ابن عاشور (ت1993هـ) حرفيا:" وعلى هذا الوجه الثاني يصح أيضا أن يكون الاشتراء استعارة بتشبيه تَيْنِكَ الحالتين بحال المشتري لشيء كان غير حائز له، وارتضاه في الكشاف".[1]

وهو يشير إلى **قول الزمخشري (ت538هـ):** "ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى: اختيارها عليه واستبدالها به، على سبيل الاستعارة؛ لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر".[2]

(1) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (1/ 299).
(2) الكشاف للزمخشري: (187/1).

✓ ويشبه الآية السالفة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة:111].

وتحليل هذه الصورة الفنية أنَّه شبه أنفس المؤمنين (وهو أمر معنوي) بالسلعة و(هي أمر حسي)؛ بجامع الغلاء والقيمة؛ ثم حذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية التي يُحذف منها المشبه به ويبقى لازم من لوازمها وهو الفعل (اشترى)، فكان سرُّ جمال هذه الصورة البيانية هو التجسيم.

وأبدع وأمتع الشيخ الطاهر بن عاشور حينما جعل الاشتراء مستعارا للوعد بالجزاء عن الجهاد، ووظف الاستعارة المكنية شارحا لها بيانيا في قالب تفسيري بما مفاده:[1]

- أنَّ الوعد يشابه الاشتراء في أنه إعطاء شيء مقابل بذل من الجانب الآخر.
- أنَّ شأن الباء أن تدخل على الثمن في صيغ الاشتراء، وأدخلت هنا في ﴿**بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ لمشابهة هذا الوعدُ الثمنَ.
- جعل اللام في ﴿**لهم الجنة**﴾ للملك والاستحقاق.... أي: بتحقيق تملكهم الجنة، وإنما لم يقل بالجنة لأن الثمن لما كان آجلا كان هذا البيع من جنس السلم.
- جعل جملة: ﴿**يقاتلون في سبيل الله**﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن اشتراء الأنفس والأموال لغرابته في الظاهر يثير سؤال من يقول: كيف يبذلون أنفسهم وأموالهم؟ فكان جوابه يقاتلون في سبيل الله، حيث أتى بالأمر على صورة الخبر.
- وجعل وسط الآية في غاية الكمال على كون الوعد حقا على الله، وعلى أن الله أوفى بعهده من كل واعد، وأن يستبشر المؤمنون ببيعهم هذا، فالخطاب للمؤمنين من هذه الأمة على أحد القولين.
- ثم عاد مخاطبا المشترين شارحا للاستعارة من زاوية أخرى؛ فأضاف البيع إلى الضمير (بيعكم) إظهارا لاغتباطهم به، ووصفه بالموصول وصلته ﴿**الذي بايعتم به**﴾ تأكيدا لمعنى (ببيعكم)، فهو تأكيد لفظي بلفظ مرادف.
- وفي قوله تعالى: ﴿**وذلك هو الفوز العظيم**﴾، إشارة إلى ذلك البيع الرابح، وأُكِد بضمير الفصل على إعراب، وبالجملة الاسمية على إعراب آخر، وكذا بالوصف (العظيم) دلالة على أهميته، وأنه بيع لا خسارة فيه البتة ولا إقالة.

✓ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ** ﴾ [الأنعام: 31]

وشرح هذا التصوير الفني أنَّه شبه ذنوبهم - أعمالهم السيئة- (وهي أمر معنوي) بالأثقال؛ أي بالأشياء الثقيلة التي تُحمل (وهي أمر حسي)، بجامع المشقة في كلٍّ منهما، فالمشبه به هنا حُذف على

(1) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (11/37-38).

سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها هو التجسيم.

وبيان ذلك تفسيريًّا أن جملة ﴿**وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ** ﴾ في موضع نصب على الحال، ويتخرج على هذا الإعراب الجملي؛ أنهم لم يكونوا محرومين من خير ذلك اليوم فحسب، بل كانوا مع ذلك متعبين مثقلين بالعذاب بسبب أوزارهم وهي ذنوبهم، وإطلاق الوزر على الذنب والجناية؛ لثقل عاقبتها على جانيها، ويساعد على هذا المعنى قوله تعالى تذيلا: ﴿**ألا ساء ما يزرون**﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [الأنعام: 164].

فلفظ الأوزار مشترك لفظي بين الأحمال الثقيلة وبين الذنوب، وهذا من لطائف الاستعارة المكنية، فالأول حسي ماديٌّ، والثاني معنويٌّ، وإجراء الاستعارة هنا تشبيه من يحملون أوزارهم على ظهورهم جراء ذنوبهم بحال من يحمل حملا ثقيلا، والقرينة المؤيدة لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿**على ظهورهم**﴾.

قال ابن عاشور (ت1993هـ):" والأوزار: حقيقتها الأثقال، جمع وزر- بكسر الواو وسكون الزاي- وهو الثقل، واستعمل في الجرم والذنب، لأنه يثقل فاعله عن الخلاص من الألم والعناء، فأصل ذلك استعارة بتشبيه الجرم والذنب بالوزر، وشاعت هذه الاستعارة".[1]

✓ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**﴾ [يس: 37]

الخيال في هذه التصوير الفني أنَّه شبه الليل وهو أمر معنوي بالحيوان (الذبيحة) الذي يُفصل جلدها عن جسدها، وهو أمر محسوس، غير أنَّه حذفه على سبيل الاستعارة المكنية، وترك شيئا من لوازمه وهو الفعل "نسلخ"، وسر جمالها التجسيم.

والسلخ: إزالة الجلد عن الحيوان، وفعله يتعدى إلى الجلد المزال بنفسه، كما في هذه الآية، ويتعدى فعل سلخ إلى الجسم الذي أزيل جلده بحرف الجر (من) الابتدائية غالبا، ويتعدى بحرف (عن) أيضا؛ لما في السلخ من معنى المباعدة، فمفعول نسلخ هنا هو النهار بلا ريب، وعُدِيَّ السلخ إلى ضمير الليل بـ (من) فصار المعنى: الليل آية لهم في حال إزالة غشاء نور النهار عنه، فيبقى عليهم الليل، فشبَّه النهار بجلد الشاة؛ كونه يُغطي ما تحته منها، كما يُغطي النهار ظلمة الليل في الصباح.

فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده، وليس الليل بمقصود بالتشبيه، وإنما المقصود تشبيه زوال النهار عنه، فاستتبع ذلك أنَّ الليل يبقى شَبَهَ الجسم المسلوخ عنه جلده.

فالاستعارة المكنية في الآية أصلية غير تمثيلية، إذ المقصود تشبيه حال زوال نور النهار عن الأفق، فتخلفها ظلمة الليل، ويؤكد ذلك إسناد كلمة "مظلمون" إلى الناس، فهي من باب إسناد الدخول في الشيء، مثل أصبحنا وأمسينا.

✓ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [المائدة: 64]

وتُجرى هذه الصورة الفنية على سبيل الاستعارة المكنية التي سرُّ جمالها التجسيم؛ حيث شبه كلاً

(1) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (132/14).

من العداوة والبغضاء وهما أمران معنويان -من جنس الكراهية الشديدة -بشيء محسوس مجسم له جرم كالصخرة التي تُلقى، بجامع الأذية في كلٍّ منهما؛ فاستعير الإلقاء تشبيها لمعقول بمحسوس، ودلَّ الظرف، وهو بينهم، على معنى: أن العداوة والبغضاء حاصلة بينهم، ولا يَبْعُدُ حمل تعلق الفعل بالظرف جعله قرينة أو تجريدا.[1]

✓ ومن ذلك قوله تعالى ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [الأنبياء:18]

وتوضيح التصوير البياني أنَّه شبه الحق (وهو أمر معنوي) بالسهم المقذوف (وهو أمر حسي)، بجامع القوة والسرعة في الظهور، وقد حذف المشبه به وترك شيئا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها التجسيم.

وشبه كذلك الباطل وهو أمر معنوي بالرأس المدموغ، وهو أمر حسي، وقد حُذف وكُنِيَ عليه بشيءٍ من لوازمه، فأُجريت استعارة مكنية سرُّ جمالها التجسيم، وقريب من هذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الحشر:2]، فجاء هذا التصوير البياني في أرقى صور الخيال؛ حيث شبه الرعب وهو أمر معنوي بالسهم المقذوف وهو أمر محسوس، وقد حَذف المشبه به، وتَرك شيئا من لوازمه دلَّ عليه الفعل (قذف)، على سبيل الاستعارة المكنية التي سرُّ جمالها التجسيم.

2.3. الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها (التشخيص) في قالب تفسيري.

سبق وأنْ ذكرنا بأنَّ التشخيص هو تشبيه شيء معنوي أو مادي بكائن حيٍّ (إنسان، حيوان)، له جوارح وحواس نحو قولنا: نطق الحق، بكت السماء، تفترس الرذيلة العفاف؛ حيث شبه الحق وهو أمر معنوي، وكذا السماء وهي أمر مادي بإنسان، وشبه كذلك الرذيلة وهي أمر معنوي بالحيوان المفترس.

ومثلنا حينها لضابط التشخيص، وأنَّه: تشبيه ما لا يعقل (ماديا أو معنويا) بكائن حي (إنسان، حيوان)، وسنعمل على تطبيق هذا على آيات من القرآن الكريم اشتملت على استعارة مكنية في قالب تفسيري.

✓ وشاهده قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ**﴾ [الأعراف: 154]

يُقال في إجراء هذا الخيال الفني أنَّه شبه الغضب وهو أمر معنوي بكائن حي له جوارح وحواس وهو هنا الإنسان المتصف بصفة السكوت، ثم حذف المشبه به (الإنسان)، وترك شيئا من لوازمه (السكوت) على سبيل الاستعارة المكنية،[2] غير أنَّ سرَّ جمالها والحال هذه التشخيص؛ كون المشبه غير محسوس، والمشبه به شخص له إحساس وجوارح وهو هنا الإنسان.

(1) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (145/6، 248-251).
(2) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (122/9).

والاستعارة المكنية أبلغ حيث انتفى الغضب بالسكوت، والمعنى الجامع بينهما هو الإمساك عما يكره، وهو أدلُّ على المقصود.

✓ وكقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾ [النحل: 65]

فهذا التصوير الفني شبَّه الأرض وهي أمر ماديٌّ محسوس بكائن حي له جوارح وحواس، وهو هنا الإنسان أو غيره ممن يتصف بصفة الحياة والموت، وقد حذفه على سبيل الاستعارة المكنية، فسرُّ جمالها إذا هو التشخيص، وأصرح منها قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ [الحج:5]

حيث شبه الأرض الماديّة المحسوسة بكائن حي له جوارح وحواس وهو هنا الإنسان العاقل حتما الذي يهمد ويركن، وقد حذفه على سبيل الاستعارة المكنية التي يحذف منها المشبه به ويترك شيء من لوازمه، ومكمنُ جمالها هنا التشخيص.

ويتعين هنا جعل المشبه به هو الإنسان؛ دلَّ على ذلك سياق الآية سباقا في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ**﴾، ولحاقا في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ [الحج:7]، وربما دلَّ عليه الوصف الجامع بين المشبه والمشبه به المحذوف، إذا كان غالبا فيه كصفة الخشوع مثلا، ومنه قوله تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [فصلت: 39]، حيث شبه الأرض المادية التي لا حس لها بالكائن الحي الذي له جوارح وحواس، وهو الإنسان العاقل الذي من صفاته الخشوع، وقد حذفه على سبيل الاستعارة المكنية، فكان سرُّ وملمحُ جمالها التشخيص، فالأرض تارة تكون ميتة، وتارة تكون جثة هامدة، وتارة تكون ساكنة خاشعة، ثم تحيا وتهتز وتربو وتنبت بالماء كالإنسان.

ويتضح من خلال إجراء هاته الاستعارات والتي قبلها أنَّ التشخيص قد يكون للشيء المحسوس كالأرض، وقد يكون لشيء غير محسوس كالغضب، كلاهما وارد، يجمعهما أنهما غير عاقلين.

وقد أشار ابن عاشور إلى ما قد شرحناه في نظير الآيات السالفة عند سورة البقرة قائلا: "وأطلقت الحياة على تحرك القوى النامية من الأرض، وهي قوة النبات استعارة لأن الحياة حقيقة هي ظهور القوى النامية في الحيوان فشبهت الأرض به".[1]

✓ ومن ذلك قوله تعالى ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾ [الكهف:77]

حيث شبه الجدار المادي غير العاقل الذي لا حس له بالكائن الحي الذي له جوارح وحواس وهو

(1) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور: (83/2).

الإنسان العاقل، ثم حذفه على سبيل الاستعارة المكنية التي يحذف منها المشبه به، وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويترك شيئا من لوازمه وهو هنا (الإرادة) التي هي من خواص العقلاء، وسرُّ جمال هذا التصوير الفني (الاستعارة المكنية) هنا هو التشخيص.

✓ ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات:41]

حيث شبه الريح المادية المحسوسة غير العاقلة، بالمرأة العاقلة التي توصف بالعقم، ثم حذفها على سبيل الاستعارة المكنية، وترك شيئا من لوازمها وهو صفة العقم، فتمحض سرُّ جمال هذا التصوير الفني في التشخيص لأنَّه شبه شيئا ماديًّا غير عاقل بشخص له حواس وجوارح.

وتناسبت الاستعارة المكنية هنا مع حالهم، فوصفت الريح بالعُقم؛ لأنَّها لم تتضمن خيراً، إذ لم تحمل مطرا، ولم تلقح شجرا، وهذا أبلغ في التذكير، وأزجر في التحذير.

3.3. الاستعارة المكنية وسرُّ جمالها (التوضيح) في قالب تفسيري.

ذكرنا سابقا أن التوضيح هو ما عدا التشخيص والتجسيم، وسنقوم بإسقاط هذا الضابط على آيات من القرآن الكريم اشتملت على استعارات مكنية في قالب تفسيري.

✓ وشاهده قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة:7]

حيث شبه القلوب والأسماع والأبصار وهي أمور مادية محسوسة، بالظرف أو بالصندوق الذي يُختم ويُقفل، أو على نحو أبوابِ المنازل الخالية المعدة للسُكنى، وهو أمر محسوس كذلك؛ ثم حذفه على سبيل الاستعارة المكنية التي يُحذَف منها أداة التشبيه ووجه الشبه والمشبه به، ويُترَك شيء من لوازمه، وهو هنا الختم؛ حيث اشتق منه صيغة الفعل الماضي، وسر جمال هذه الصورة البيانية هو التوضيح؛ إذ إنَّه ليس من باب تشبيه شيء معنوي بمحسوس فيكون تجسيما، ولا من باب تشبيه ما لا يعقل (سواء كان ماديًّا أم معنويًّا) بكائن له حواس وجوارح فيكون تشخيصا، بل هو من باب تشبيه محسوس بمحسوس، فسرُّ جمال الاستعارة المكنية هو التوضيح.

✓ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام:25]

فربُّنا سبحانه شبه قلوب الكفار وهي أمر ماديٌّ محسوس بأمر محسوس آخر (أشياء) يمكن أن تغطى، ثم حذفه، وترك شيئا من لوازمه وهي (أكنة) جمع كنان، وهو ما يُستر به على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمال هذا التصوير الفني هو التوضيح؛ لأنَّه ليس من باب تشبيه الشيء المعنوي غير المحسوس بالمحسوس فيكون تجسيما، وليس من باب تشبيه ما لا يعقل (سواء كان ماديًّا أم معنويًّا) بكائن له حواس وجوارح فيكون تشخيصا، بل هو من باب تشبيه محسوس بمحسوس فسرُّ جمال الاستعارة هو التوضيح.

✓ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم:4]

حيث شبه شيب الرأس وهو أمر محسوس بالحطب قديما أو الوقود حديثا، وهو كذلك أمر

محسوس، ثم حذفه على سبيل الاستعارة المكنية التي يُذكر فيها المشبه وتحذف منها باقي أركان التشبيه، غير أنَّه يبقى شيء من لوازم المشبه به، وهو هنا (اشتعل)، وسرُّ جمال هذ التصوير الفني هو التوضيح؛ إذ إنَّه ليس من باب تشبيه الشيء المعنوي بالشيء الحسي فيكون تجسيما، ولا من باب تشبيه ما لا يعقل (سواء كان ماديًّا أم معنويًّا) بكائن له حواس وجوارح فيكون تشخيصا، بل هو من باب تشبيه محسوس بمحسوس، فسرُّ جمال الاستعارة المكنية هو التوضيح.

قال ابن عطية (ت542ه):" (واشْتَعَلَ) مُسْتَعارَةٌ للشَّيْب من اشْتِعالِ النار، على التشبيه به، و(شيبا) نُصِب على المصْدَرِ في قَوْلِ من رَأى "اشْتَعَلَ" في معنى شاب".[1]

وشرح أبو حيان (ت745ه) على هذا الوجه الإعرابي الاستعارة قائلا: "وبعضهم أعرب (شيبا) مصدرا قال: لأن معنى (واشتعل الرأس) شاب فهو مصدر من المعنى، وقيل: هو مصدر في موضع نصب على الحال، واشتعال الرأس استعارة المحسوس للمحسوس، إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب، والجامع بينهما الانبساط والانتشار".[2]

ومن كمال الاستعارة المكنية هنا جزالة لفظها حيث كان الأصل اشتعل شيب الرأس، ويكون المعنى: يا رب، إني ضعفت عظامي، وكثر شيب رأسي، ولم أكن خائبًا في دعائي لك، بل كلما دعوتك أجبتني.

✓ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل: 112]

حيث شبه الله اللباس وهو أمر محسوس بالطعام وهو أمر محسوس، ثم حذفه على سبيل الاستعارة المكنية التي يُحذف منها المشبه به، ويشار إلى لازم من لوازمه وهو هنا "الذوق"، وسر جمال هذا التصوير الفني هو التوضيح؛ إذ هو ليس من باب تشبيه معنوي بحسي فيكون تجسيما، ولا من باب تشبيه غير العاقل بشخص فيكون تشخيصا.

قال ابن عاشور (ت1993ه): "والإذاقة: حقيقتها إحساس اللسان بأحوال الطعوم.... واللباس: حقيقته الشيء الذي يلبس، وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على أنه مستعار إلى ما يغشى من حالة إنسان ملازمة له كملازمة اللباس لابسه، كقوله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾ [البقرة:187] بجامع الإحاطة والملازمة".[3]

والمعنى أنه: لَمّا باشَرَهم الخوف والجوع صارَ كاللِباسِ، وهَذا كَقَوْلِ الشاعر:[4]

إذا ما الضَجِيعُ ثَنى جِيدَها ... تَدَاعَتْ عَلَيْهِ فَصارَتْ لِباسًا.

وعلى هذا المعنى البياني جاءت قراءة عبد الله بن مسعود الشاذة: (فأذاقها الله الخوف والجوع) دون

(1) المحرر الوجيز لابن عطية: (4/4).
(2) البحر المحيط لأبي حيان: (240/7).
(3) التحرير والتنوير لابن عاشور: (306/14).
(4) البيت من المتقارب، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه: ص81.

ذكر لفظة (لباس).[1]

✓ ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24]

القلوب أمر ماديٌّ محسوسٌ، شبَّهها ربُّنا تعالى بالأبواب، وهي أمر مادي محسوس كذلك، ثمَّ حذفه على سبيل الاستعارة المكنية، التي يحذف منها أداة التشبيه ووجه الشبه والمشبه به، ويُترك شيء من لوازمه وهو هنا (الأقفال)، وسرُّ جمال هذا التصوير الفني هو التوضيح؛ إذ إنَّه ليس من باب تشبيه شيء معنوي بمحسوس فيكون تجسيما، ولا من باب تشبيه ما لا يعقل (سواء كان ماديًّا أم معنويًّا) بكائن له حواس وجوارح فيكون تشخيصا، بل هو من باب تشبيه محسوس بمحسوس، فسرُّ جمال الاستعارة المكنية هو التوضيح.

وأكد ابن عاشور ما ذكرناه قائلا:" والأقفال: جمع قفل، وهو استعارة مكنية إذ شبهت القلوب، أي العقول في عدم إدراكها المعاني بالأبواب أو الصناديق المغلقة".[2]

وحسبنا ما ذكرنا من سر إعجاز الاستعارة المكنية للإبانة عن مكانتها في البلاغة، ولعلّ في هذا القدر ما يشوق القارئ، ويستحثه لتطبيق ذلك بنفسه على آيات أخرى، خاصة فيما تعلق بالاستعارة التصريحية قَسِيم الاستعارة المكنية.

4. خاتمة

الاستعارة المكنية صورة من صور التوسع في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة العامة التي ترجع إلى المعنى، وفضيلة الاستعارة المكنية الجامعة تتمثل في أنّ سر جمالها يبرز المعاني إيجازا وبيانا؛ فيزيد التجسيم قدرها نبلا، ويوجب لها التشخيص فضلا، ويثبت لها التوضيح شأنا وشرفا، فالاستعارة المكنية هي التي لوّنت المعاني الحقيقية في الآيات محل البحث كل هذا التلوين، وهي التي بثّت فيها كل هذا القدر من التأثير الذي ارتفع ببلاغتها إلى حدِّ الإعجاز، فقد بالغت الاستعارة المكنية في إبراز المعاني الخيالية إلى الصور المشاهدة.

وزاد في جمال المبالغة الناشئة عن الاستعارة المكنية إخراج ما لا يُدرك إلى ما يُدرك بالحاسة؛ تعاليا بالمشبه به المحذوف المنطوي؛ إذ صُيِّر بمنزلة ما يُدرك ويُشاهد ويُعاين.

أهم النتائج والتوصيات:

وظف البحث في إطاره العام أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم، بشكل مقنع استخرج منها الاستعارة المكنية مبينا نوعها وسرَّ جمالها، فكانت مادة علمية دسمة انتهت به إلى جملة من النتائج والتوصيات نذكر منها:

✓ لإجراء الاستعارة وتحديد أركانها وأنواعها وبيان سرّ جمالها نبحث عن الخيال أولا، ثم نحدد

(1) معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب: (695/4).
(2) التحرير والتنوير لابن عاشور: (114/26).

المشبه فهو المقصود بالكلام دائما، سواء ذكر أم حذف، ويُساعدنا على ذلك السياق وفهم المعنى، وضابط التفريق بينه وبين المشبه به؛ أن الوصف الجامع بينهما يكون أظهر وأبين في المشبه به، فإن ذُكِر المشبه به كانت الاستعارة حينها تصريحية، وإلا فمكنية وهي محل بحثنا، ويجري ضابط سرِّ جمال الاستعارة بنوعيها مطردا؛ فإن شبهنا الشيء المعنوي بالشيء الحسي فهو تجسيم، وإن شبهنا ما لا يعقل أو ما لا يحس بشخص فهو تشخيص، وإن لم يكن هذا ولا ذاك كان ملمح جمالها توضيحا.

✓ رغم ما تقرر في بيان دلالات الصور البيانية وأثرها في التفسير؛ فإنَّه لا ينبغي أن يُتوسع في تحكيمها على المعنى الظاهر؛ فالصور البيانية لا تعدو أن تكون هادية للمعنى المراد للشارع الحكيم، وليست قاضية عليه؛ فالمعنى أولا وأخيرا تابع للسياق وقرائن الأحوال.

✓ العمل على إنشاء فهرس ببليوغرافي مرتبط بمحرك بحث آلي على شكل جدول يشتمل على ثلاثة أعمدة؛ **الأول:** مواضع الصور البيانية وأقسامها وأنواعها في القرآن الكريم، **والثاني:** بيان أثرها ودلالاتها في التفسير باختصار، **والثالث:** الإشارة لمن نصَّ أو نبه أو شرح هذه الصور البيانية مؤلِّفًا ومؤلَّفًا.

✓ ضرورة توزيع مثل هذه المواضيع على طلبة الدراسات الأكاديمية بأطوارها الثلاثة (ليسانس، ماستر، دكتوراه)، واستثمارها في اكتساب الملكات التفسيرية البلاغية لدى الطلاب.

هذا والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا أشرف الأنبياء والمرسلين.

5. قائمة المراجع

- ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984هـ، ***التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)***، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، 1422هـ، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، 1414هـ، ***لسان العرب***، بيروت، دار صادر، الطبعة الثانية.
- أبو بكر بن دريد الأزدي، محمد بن الحسن،1987م، ***جمهرة اللغة***، ت: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، 1420هـ، ***البحر المحيط في التفسير***، ت: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثالثة.
- الأخضري، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الصغير، 1439هـ/2017م، ***الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون***، ت: أبو عد الله خالد بن بكير خالد، بيروت، دار ابن محزم، الطبعة الأولى.
- الجرجاني، أبو كر عبد القادر، ***أسرار البلاغة***، ت: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني.
- حفني ناصف، حفني ناصف وآخرون، 1425هـ/2004م، ***دروس البلاغة (شرح ابن عثيمين)***، اعتنى بها محمد بن فلاح المطيري، الكويت، مكتبة أهل الأثر، الطبعة الأولى.
- الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، دت، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي

وشركاه، الطبعة الثالثة.

- الزمخشري جار الله، محمود بن عمرو بن أحمد، 1407هـ، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.
- السيوطي، جلال الدين، 1433هـ/2012م، ***عُقودُ الجمان في علم المعانِي والبيان***، ت: عبد الحميد ضحا، القاهرة، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- عبد اللطيف الخطيب، محمد محمد، 1422هـ/2002م، ***معجم القراءات***، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، 1426هـ/2005م، ***القاموس المحيط***، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، لبنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة.
- النابغة الجعدي، زياد بن معاوية بن ضباب، 1988م، ***ديوان النابغة الجعدي***، ت: واضح الصمد، لبنان، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.